Carnelian

رواية

كارنيليان

- الطريق إلى الجحيم -

هنيّ فايزة

كارنيليان - الطريق إلى الجحيم -

رواية

المؤلف: هنيّ فايزة

تصميم الغلاف: هنيّ فايزة

تنسيق داخلي: Henniyet Design

جميع أحداث وشخصيات هذه الرواية من وحي خيال المؤلفة وأي تشابه بينها وبين الواقع هو من قبيل الصدفة لا أكثر.

Carnelain

كارنيليان

- الطريق إلى الجحيم -

هنيّ فايزة

إهداء

إلى شمعة دربي أكتب "أمي"

إلى الرجل الوحيد في حياتي أكتب "أبي"

إلى مؤنساتي الغاليات أكتب "أخواتي"

إلى أحلامي التي تلاشت الواحد تلو الآخر أكتب.

مقدمة

تتداخل خيوط الحياة وتتسارع الأحداث فتستدعي أرواحا لتخوض مغامرة مليئة بالألغاز ممزوجة بكم من المشاعر، ليست مجرد قصة، إنها صراع بين الأمل واليأس، الضوء والظلام، الخير والشر.

وقفت أمام مرآتها وقفة الجندي في المعركة وصرخت بكل قوتها لست عقيمة لست عقيمة

***

قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ • أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ الشورى: 49 – 50

الفصل الأول

بدأ المطر يتوقف شيئا فشيئا حتى سقطت آخر زخاته على زجاج نافذتها التي لا تزال واقفة عليها منذ ما يقارب الساعتين تنظر بعينين متغلغلتين بالدموع إلى اللاشيء، هي حاضرة بجسدها المنهك بينما عقلها لا يزال هناك يتذكر كل كلمة قيلت لها وكل تهمة وجهت إليها، تسأل نفسها لماذا لم ترد لماذا فشلت في الدفاع عن نفسها ككل مرة، لماذا تجمدت كل حواسها وكأنها صخرة بينما كانت تنهال عليها الشتائم من الجميع، ألهذا الحد هي ضعيفة؟ وإلى متى ستظل على هذا الحال؟

وسط كل هذه الأفكار أعادها صوت زوجها إلى الواقع الذي كانت تحاول الهرب منه.

- رحمة لماذا تبكين مجددا؟ هل حدثوك في ذلك الموضوع مرة أخرى؟

نظرت رحمة إليه نظرة عتاب، هي تلومه لأنه اعتاد الهرب اعتاد على تركها تواجه مشكلتهما لوحدها؛ ثم يأتي آخر الليل ليخبرها أن كل شيء سيّحل وأنه أكثر حزنا منها، بأي حق يمكنه الحكم على شدة حزنها أوليست هي من تتلقى الشتائم كل يوم أوليست الملام الوحيد في نظر البقية.

وأخيرا نجحت في فك عقدة لسانها وأجابته بصوت يحمل الكثير من الألم بأنها تشعر بالتعب ولا ترغب أن تتحدث في الموضوع الليلة واتجهت إلى فراشها متمنية أن تغفو ولو قليلا.

***

اتجه سليم هو الآخر لفراشه و الحزن يملأ قلبه على حال زوجته من جهة و على حاله من جهة أخرى ، هو أيضا يشعر بالضعف وقلة الحيلة لم يستطع الدفاع عن رحمة مما تتعرض له من قبل أهله و من قبل نساء القرية فالكل يتهمها بالعقم رغم أن كل التقارير الطبية تشير إلى أنها سليمة وقادرة على الإنجاب بشكل طبيعي كغيرها من النساء ، هو ايضا أخبره الأطباء بعدما أجرى العديد من التحاليل أنه رجل سليم قادر على الإنجاب وليس به مرض أو عيب ؛ لكن شاء القدر ان يحرمهما من هذه النعمة الجميلة فقد مرت خمس عشرة سنة على زواجهما ولا يزالان وحيدين و باءت كل محاولاتهم بغية أن يرزقا بطفل يبهج قلبيهما بالفشل .

عندما أخبره الأطباء أنه لا يوجد علاج لمشكلته لأنه لا وجود لمشكلة مرضية علمية به او بزوجته وإنما هو قدر وعليهما بالصبر والدعاء فقط فضل تكذيب كل الدكاترة الذين قاموا بتشخيصهم واتهمهم بالجهل فكيف لشخص بكامل صحته

أن يكون عقيما بدون سبب، ولجأ هو ورحمة لطرق علاج بديلة وتقليدية عسى أن يدركا مبتغاهما من هذه الأخيرة.

مرت السنين طويلة عليهما ولم تحمل معها أي خبر سار، وبدأ أفراد عائلته في التذمر وكثر الحديث في موضوعهما وعن رغبتهم في رؤية حفيد لهم من ابنهم سليم قبل أن يغادروا الحياة، صارت رحمة حديث النسوة في كل فرح أو حزن فواحدة تقول بأنها عاقر، وأخرى تنشر شائعة أن سليم قرر الزواج ثانية وغيرها من الأقوال التي أتعبت رحمة.

لما كل التهم كانت موجهة لها وحدها؟ لما لم يتهموا زوجها بالعقم؟ لما لم يقولوا إنها ترغب في الطلاق منه حتى تعاود الزواج مرة أخرى وترزق بأطفال؟ فقط لأنها امرأة، كائن ضعيف، خلق من ضلع أعوج!! ولأن الرجل هو الأقوى، فخر العائلة لا يعيبه شيء!! تبا لهذه القوانين، من وضعها؟ أين العدل؟

تعرض سليم للكثير من الضغوطات من قبل والدته من أجل أن يعاود الزواج عله يحظى بولد من صلبه لكنه رفض رفضا شديدا، ليس لأنه يعلم جيدا أن رحمة قادرة على الإنجاب، ولا لأنه يحبها كثيرا ويخشى أن ينفطر قلبها بل لأنه كان يحمّل نفسه المسؤولية.

أغمض عينيه جيدا محاولا النوم وكسائر الليالي لم يظفر بما يريد فعقله لن يسمح له بأن ينعم بليلة هادئة قبل أن يعرض عليه نفس السيناريو الذي إعتاده، هو مجبر على تذكر تلك الليلة السوداء من حياته بأدق تفاصيلها فيعاتب نفسه مرارا وتكرارا عسى أن يغفر الله له ذنبه ويمنحه القليل من الطمأنينة لينام وينهيّ يومه الشاق.

حدث ذلك عندما كان في سن السادسة عشر من عمره حينما كان عائدا بعد منتصف الليل بقليل إلى بيتهم فقد خرج متسللا كاللّص بعد أن نام والداه وإخوته ، و كانت هذه عادته أغلب الأحيان فهو شاب مقبل على الحياة يرغب في استكشاف العالم الخارجي والتسكع مع رفقائه فتارة يلعبون النرد وتارة يذهبون للتخييم وتارة أخرى يجلسون يتجاذبون أطراف الحديث ؛ لكن والده كان صعب المراس شديد الصرامة يمنعه من فعل هذه الأشياء هو وبقية إخوته ، يبقيهم بجواره داخل ورشته طيلة النهار يعلمهم صنعة الحدادة التي اشتهرت بها عائلتهم آنذاك ، وفي المساء يرجع بهم إلى البيت فيتناولون العشاء سويا ثم ينصرف كل منهم إلى فراشه فينامون مبكرا حتى يستيقظوا مبكرا ، وإذا خالف أحد منهم إحدى قواعده يعاقب أشد عقاب .

كان البرد شديدا ليلتها فبدأ يهرول حتى يصل إلى البيت في وقت أبكر كي لا يكشف أمره، وبينما هو يسير وصل إلى زقاق ضيق دامس الظلام لانعدام الإنارة

فيه فزرع الرعب في قلبه ولكن ما بيده حيلة هو مضطر لعبوره، فزاد من سرعته، وفجأة وسط ذلك الصمت المرعب سمع أصواتا لأشخاص قادمين من الاتجاه المعاكس وبدون تفكير عميق خطر بباله أنهم قطاع طرق فقد كثر الحديث عنهم في الآونة الأخيرة داخل القرية فرجع خطوات إلى الخلف واختبأ خلف نصف سور قديم.

اقترب صوتهم أكثر فحافظ على هدوئه وظل يسترق السمع عله يعرف هويتهم وماذا يفعلون بمثل هذا الوقت، كان يدور بينهم نقاش حاد.

_ هل أنت متأكد مما تقوله؟ لا أريد أن أضيع وقتي. قال جملته باستهزاء.

_ طبعا، أنا متأكد فقط يجب أن نرسم خطة جيدة لمهمتنا.

_ حسنا لا مشكلة، عادة لا يسمح له والداه بالخروج للعب مع أطفال القرية لوحده ولكن أخاه الأكبر منه يصحبه كل يوم سبت معه إلى ملعب القرية.

_ إذن يجب علينا أن نستدرج الأخ الأكبر أولا ونبعده عن الفناء ثم نخطف الطفل الصغير بكل سهولة. قال أحدهم بكل ثقة.

_ وأين سنخبئه قبل أن نقوم ببيعه للمشعوذ؟

_ سوف أهتم بهذا الأمر أنا، أما أنتما تنتهي مهمتكما بعد خطف الطفل وبمجرد أن أبيعه وأقبض حقه سوف أسلم لكما نصيبكما.

_ لكن لا أفهم لما يريد المشعوذ هذا الطفل بالذات؟ يمكنني أن أخطف له مئات الأطفال بسهولة لأنهم يلعبون طول الوقت في الخارج عكس هذا الذي لا يخرج إلا مرة في الأسبوع وبرفقة أخيه أيضا !! سأل أحدهم بتعجب.

- أيها الغبي كيف تقارنه بهم إنه طفل زهري.

كان هذا كل ما استطاع سليم فهمه من حديث هؤلاء المجهولين لأنهم كانوا يتحدثون بصوت منخفض جدا أقرب إلى الوشوشة، لكنه استنتج أن النقاش دار بين ثلاثة أشخاص لأنه سمع ثلاثة أصوات مختلفة.

في تلك اللحظة لم يفكر أن يحلل كلامهم فبمجرد أن سمع كلمة خطف ارتعدت فرائسه وتيقن أنه سيكون أول ضحية إذا علم الخاطفون أنه سمع كلامهم وبدأ يدعي الله أن يغادوا المكان حتى يعود إلى بيته سالما وهذا ما حدث فعلا.

دلف إلى غرفته وهو يتصبب عرقا، أحس أن حرّ الكون اجتمع في جسده فبدأ يستنشق الهواء بقدر ما أمكنه حتى امتلأت رئتاه ثم أخرج الهواء دفعة واحدة وكأنه يتنفس الصعداء على نجاته. جلس قليلا يستعيد أنفاسه وبدأت دقات قلبه تهدأ تدريجيا حتى عادت إلى معدلها الطبيعي، فقرر أن يحلل الكلام الذي سمعه

وبعد تفكير طويل تمكن من فك اللغز؛ جماعة من الأشرار تخطط لخطف طفل زهري من أجل بيعه لأحد المشعوذين، لكن من يكون هذا الطفل؟ ظل يردد ما سمعه داخل رأسه حتى تذكر شيئا مهمًا كان نقاشهم يدور حول طفل لا يخرج من بيته لوحدة ولا يلعب مع بقية الأطفال بل يرافقه أخوه الأكبر مرة واحدة في الأسبوع للعب ، هذه المواصفات تنطبق على طفل واحد ابن جارهم ، نادر طفل يبلغ من العمر أربع سنوات وقد سبق أن سمع والدته تتحدث عنه مع خالته تخبرها بأنه طفل زهري وأسرته تخشى أن يصيبه مكروه إذا خرج من البيت وحينما سألها ماذا تقصد بالطفل الزهري أخبرته أن هذا مصطلح منتشر جدا في شمال إفريقيا يطلق على مجموعة من الأطفال يقال بأنهم ليسوا بالعاديين لأن لهم قوات روحية خارقة ، يستخدمهم السحرة والمشعوذون من أجل تحقيق بعض رغباتهم الشيطانية وعادة ما يقدمونهم كقرابين للشياطين ويعرف هؤلاء الاطفال بعلامات خلقية مميزة فمثلا في كف يدهم اليمنى يوجد خط مستقيم ومتصل و عيونهم تحوي بريقا خاصا .

نعم هو متأكد كل التأكد بأنهم يقصدون نادر، ولكن كيف! كيف لقلوبهم أن تطاوعهم على فعل هذا بطفل بريء لا يعلم عن وحشية هذا العالم شيئا؟ ماذا يجب عليه أن يفعل؟ هل يبلغ والده وعائلة نادر عما يسحّل بطفلهم إذا سمحوا له بالخروج للعب مع أخيه!

لالا لا يمكنه فعل ذلك ، من المفروض أنه كان طوال اليوم بجوار والده وعاد معه إلى البيت فإن سأله والده من أين له بهذه الأخبار سيكتشف أنه كان يتسلل كل ليلة من وراء ظهره ولا يعود إلا في وقت متأخر ، يعلم أن أباه لن يعامله معاملة البطل ويثني عليه لأنه جاء بهذه الأخبار العظيمة وأنقذ نادر، حتما سيكون عقابه قاسيا ، يمكن حتى أن يلقى حتفه على يد أبيه فهو يعرفه خير المعرفة ، وحتى و إن نجا من والده فإنه لن ينجو من أفراد العصابة فالأخبار تنتشر في قريتهم بسرعة البرق سيصلهم خبر البطل سليم الذي حذر عائلة طفل زهري من عصابة تخطط لخطف طفلهم و بيعه لمشعوذ و يا ويلته مما سيحل به وقتها .

بعد تفكير دام ساعات في محاولة لإيجاد حل لهذه المعضلة قرر سليم أن يغلق فمه ويحتفظ بالسر الخطير في جعبته، هو ليس ندّا لوالده ولا لعصابة الخاطفين ولا للمشعوذ، القضية أكبر منه بكثير وربما هي أكبر من أن يتحملها أهل القرية برمتهم.

صحيح أن الإنسان يميل إلى الأنانية غالبا لكن فطرة الإنسان السوي تحثه على تقديم المساعدة للغير فما بالك إن كان من يحتاج يد العون ملاك صغير بعمر الزهور مازال يتعثر في خطواته ولا ينام إلا في حضن أمه، يقابل الجميع بابتسامة بريئة، وحبة من الحلوى كفيلة بإقناعه أن يكف عن البكاء.

ربما خوف سليم من والده أو خوفه من العصابة أو ربما لأنه جبان أو لأن فطرته ليست سوية جعلت منه مجرما بطريقة غير مباشرة، فضل أن يحبس نفسه في غرفته بحجة المرض بينما نفذت العصابة مهمتها على أكمل وجه، يا له من شخص بارد الأعصاب.

بدأت حالة الهرج والمرج في القرية، تعالت الأصوات واختلطت بعضها ببعض بعدما شاع خبر اختفاء نادر، هّم جميع من في القرية صغيرا وكبيرا للبحث عنه في كل مكان يخطر على البال لكن الأوان قد فات وما بيدهم حيلة.

تقطع قلب أمه عليه بدل المرة ألف مرة فبالرغم من جهود نساء القرية في مواساتها إلا أن قلب الأم لا يكذب إنها تشعر به تعلم أنه حتى هذه الدقيقة لا يزال على قيد الحياة وتعلم أنه لن يعود ولو طال الزمن و أن الأسوء ينتظره ، هي متيقنة من أنهم أخذوه ليستخدموه في أعمالهم الشيطانية ؛ منذ اليوم الذي وضعته فيه و اكتشفت أنه طفل زهري أدركت أن هذا اليوم قادم لا محال ولكنها منعت نفسها من التفكير بسلبية ما استطاعت ، الآن عليها أن تمسح دموعها وترسم ابتسامة مصطنعة على وجهها وتمثل دور المرأة القوية فباقي أولادها بحاجة لها ولا يمكن أن تخذلهم.

تنهد سليم تنهيدة تحمل معها الكثير من الآهات سأل نفسه هل الله يعاقبني لأني مذنب؟ هل حرمني الله من الذرية لأني لم أرحم ولدا بريئا يوما ما؟ يا ليت الزمن يعود يوما فأكسر خوفي وجبني وأُعيد نادر لحضن أمه يا ليت.

سجدت سجدة طويلة والعبرات تنهمر على خديها وهي تردد يا رب اغفر لي ، يا رب اغفر لي

***

قَالَ الله تَعَالَى :﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة : 102

الفصل الثاني

اختلط شعر رأسها الأسود بالأبيض ، رسمت التجاعيد خريطة على وجهها و صار انحناء ظهرها واضحا، تقدمت بالعمر فعلا لكنها مازالت كما عرفها الجميع ، عناية المرأة الحديدية القوية الآمرة الناهية في بيت العائلة بعد زوجها الذي سبق أن قسمت معه كل ما يخص شؤون الأسرة ؛ هو يهتم بأولاده وأحفاده من الذكور لا يتحركون إلا بإذن منه ولا يغيبون عن عينه إلا بأمر منه أما هي فتربعت على عرش الحكم على زوجات أبنائها وحفيداتها من البنات تراقبهن عن كثب ، توجه إليهن الأوامر و ترسم لهن القواعد فلا تجرؤ واحدة منهن على رفض طلب لها أو تتململ في خدمتها.

كان الأمر صعبا عليهن كن يشعرن بالاختناق، لم تتمكن واحدة منهن من تربية أولادها كما رغبت، ولا من قضاء يوم بسيط مع زوجها وأولادها فقط، حتى وإن ذهبت إحداهن تشكو الوضع لزوجها وتخبره أنها تشعر بالضيق وتحلم أن تعيش حياة أبسط من هذه ترجع خائبة لأن زوجها مقيد ولا يجرؤ على رفض قوانين والديه فقد اعتاد على هذه الحالة وتأقلم معها فيطلب منها أن تصبر وستتعود هي أيضا وربما ستدرك يوما أن والديه كانا على حق وفعلا كل هذا من أجل مصلحة الجميع.

أصبحت عناية تشرد كثيرا مؤخرا وقد بدا ذلك عليها واضحا، كل العيون تراقبها باهتمام لأنهم يدركون أن هذا الشرود سينتهي بقرار جديد كما جرت العادة.

في الواقع الأمر مختلف هذه المرة هي لن تصدر قرارا ،هي فقط تفكر في حل لمشكلة ابنها سليم وزوجته رحمة ، تريد أن تعرف لما توسل إليها وطلب منها أن لا تكلمه في موضوع الزواج مرة أخرى و أن تغض بصر والده عن هذه الفكرة ، إنها المرة الأولى التي يبكي فيها أمامها طالبا الرحمة منها و هو الذي كان لا يناقشها في أي أمر تأمره به ؛ صارت تشك أن المشكلة به و ليست برحمة و ربما اتفقا على كتم هذا السر بينهما ؛ اذا كان الأمر يجري هكذا فطبعا عليها أن تلغي فكرة زواجه فوقتها سيعلم الجميع أن سليم هو الشخص غير القادر على الإنجاب ، وفي نفس الوقت لن تترك الأمر حتى تجد حلا و تحظى بحفيد جديد.

***

قررت عناية زيارة إحدى قريباتها تدعى فضة تقطن بقرية مجاورة لترتشف كوبا من القهوة معها وتدردش قليلا فتخبرها بما يشغل بالها فلربما تجد لها مخرجا، هي تثق بها ثقة عمياء وتأمنها على أسرارها، كيف لا وهما نسخة عن بعض في الطباع والتصرفات.

روت عناية لفضة ما دار بينها وبين سليم من حديث حول زواجه الذي كانت تخطط له وأخبرتها عن رده وما أصبحت تشك به وأنها لا ترغب بالمخاطرة ولكن في الوقت ذاته لا تود الاستسلام لأنه ليس من شيمها فوافقتها فضة الرأي.

- ربما يكون الأمر كما تظنين. قالت فضة وهي تهز رأسها.

- ولهذا جئت إليك فصبري بدأ ينفذ وحديث نساء القرية عن إبني بدأ يزعجني أود أن أخرسهم جميعا وهذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا أنجب طفلا.

- الأطباء يقولون إنهم لا يستطيعون فعل شيء، وكل الأعشاب وخلطات العلاج البديل التي تستخدم في مثل هذه الحالات لم تجدي نفعا حتى أن الرقية لم ترحهم، ربما ... قالت فضة بتردد.

- ربما ماذا!! لما تتحدثين بغرابة.

- إنسي الأمر فبالرغم من أنها قد تكون طريقة مضمونة لا أظن أنك ستتقبلينها.

- تحدثي فقط، جئت إليك طالبة المساعدة لا تخفي عني أمرا قد يكون ترياقا.

- هل سمعتي من قبل بمرأة تدعى رملة؟

- لا، لم أسمع عنها من تكون؟

- رملة امرأة تقطن في نفس هذه القرية بيتها لا يبعد كثيرا عن بيتي، يقال بأن لها يدا سحرية فعلى يدها أنجبت الكثير من النساء وتزوجت الكثير من العوانس.

- سامحك الله يا فضة، لما لم تخبريني عنها من قبل إن كانت متمكنة كما تقولين.

- خشيت أن يرفض زوجك الأمر، هناك الكثير من الجلبة حول هذه المرأة البعض يثق بها ويقول إنها امرأة درويشة أنعم الله عليها بنعمة المداواة والبعض الآخر يدعي أنها مشعوذة.

- أرغب في زيارتها أولا وبعدها سأقرر.

- حسنا سوف آخذ لك موعدا معها وأرسل لك خبرا.

عادت عناية إلى بيتها وهي تحمل الكثير من الأمل معها بعد كل القصص التي روتها لها فضة عن النسوة التي تزوجن وأنجبن على يد رملة بعد أن فقدن الأمل.

بعد عدة أيام جاء الخبر الذي انتظرته عناية من فضة فطارت على جناح السرعة إليها وما إن وصلت توجهت الاثنتين نحو بيت رملة.

وصلتا إلى البيت وعند الباب وجدتا صبيا يقف عند المدخل يتراوح عمره ما بين العاشرة والثانية عشر، فاستأذناه بالدخول وأخبراه أن لهم موعدا مع رملة فطلب منهما أن يتبعاه.

دلفتا من الباب الرئيسي للبيت كان هنالك درجان أحدهما يؤدي إلى الطابق العلوي والآخر نحو القبو، اتجه الصبي إلى الدرج المؤدي إلى الطابق السفلي فتبعته المرأتان، كان المكان يزداد ظلمة كلما اتجهوا نحو الأسفل أكثر ثم بدأ يظهر الضوء تدريجيا عندما وصلوا إلى القبو.

كان القبو مضاء جيدا بالكثير من الشموع المعلقة على الجدران الخشبية ويوجد به بابان خشبيان متقابلان، طلب منهما أن تنتظراه قليلا. دخل إلى الحجرة التي تقع على اليسار وأغلق الباب خلفه وبعد فترة ظهر مرة أخرى وقال لهم بأن السيدة رملة بانتظارهم.

كانت الحجرة أيضا مضاءة بالشموع والكثير من فراء الحيوانات معلقة على الجدران، أرضية الغرفة مفروشة بالكامل ببساط أحمر اللون ويتوسط الغرفة مجلس تقليدي هو الآخر حيك بقماش أحمر اللون خطط بالأبيض، رائحة الغرفة غريبة جدا وكأنها رائحة كتاب عتيق. تقدمت المرأتان إلى المجلس فلفت انتباههما الطاولة الموجودة أمامه، كانت مليئة بأواني صنعت من القش تحتوي على الكثير من الأشياء كالأعشاب والرمل وغيرها من العقاقير التي لم يروها من قبل، إضافة إلى مبخرة كبيرة ينبعث منها دخان البخور الذي أصابهم بضيق تنفس.

جلستا بعد أن دعتهما رملة وهنا أصابتهم الدهشة فقد توقعتا أن تكون امرأة عجوز بشعة أو على أقل تقدير يثير النظر إليها الرعب فيهم، فهذا ما اعتادوا سماعه عن أمثالها من الأشخاص وعلى عكس ذلك تماما كانت رملة امرأة في الثلاثينيات من عمرها فائقة الجمال تبعث الطمأنينة في الناظر إليها، بشرتها شديدة البياض عيناها كبيرتين بهما بريق ساحر وشعرها طويل صنعت منه ضفيرتين، كانت ترتدي ثيابا ناصعة البياض.

قصت عناية قصة ابنها سليم على رملة وكيف فشلت كل السبل التي سعو فيها من أجل حل مشكلته، فأخبرتها رملة أنها لا تستطيع تحديد المشكلة مباشرة فالأمر معقد وربما يكون به سحر وأن عليها أن تأتي لها بأثر من ثياب ابنها سليم وزوجته رحمة حتى تقدر أن تعرف هل هو فعلا سحر أم لا وإن كان سحرا يجب أن تحدد نوعه أولا ومن ثم ترى ما يمكنها فعله.

استغلت عناية فرصة غياب سليم وأوكلت العديد من المهام لرحمة حتى يخلو لها الجو وتتمكن من تنفيذ خطتها، تسللت إلى غرفتهما بهدوء واتجهت إلى خزانة الملابس وأخذت قطعة ملابس لكل واحد منهما ثم نظرت إلى التسريحة فرأت مشطا موضوعا عليها وقررت أن تأخذ بعض الشعر أيضا ربما يكون مفيدا، ومن ثم خرجت مسرعة حتى لا يراها أحد وخبأت الأغراض جيدا في انتظار زيارتها القادمة إلى أملها الجديد.

أخرجت الأشياء التي أحضرتها ووضعتها فوق الطاولة وأخبرت رملة أن هذا ما استطاعت جلبه فابتسمت رملة وطلبت منها ومن فضة أن يلتزما الصمت حتى يتسنى لها العمل.

أضافت بعض العقاقير إلى المبخرة فزاد الدخان في الغرفة وأصبحت الرائحة خانقة أكثر ثم قصت قطعة قماش من كل ثوب ولفت كل قطعة حول عود خشبي ولفت قطعة أخرى من القماش الأسود حول القماش الأول وألقت بهم في المبخرة وبدأت تتمتم بكلمات غريبة وتضيف في نفس الوقت العقاقير حتى احترق القماش بالكامل.

أخذت الرماد ووضعته في إناء القش الذي يحتوي على الرمل ثم فتحت زجاجة كانت موضوعة أمامها بها سائل أحمر وأفرغت بضع قطرات منه فوق حبات الرمل التي اكتسبت نفس لون السائل وبدأت بخلط كل المكونات بعضها ببعض وهي تتمتم مرة أخرى بكلمات غريبة.

في هذه اللحظات أدركت عناية لما أخفت عنها فضة أمر رملة وقالت إن هناك جدل حولها، بعدما رأته الآن تأكدت من أن رملة مشعوذة ليست بحاجة لرؤية بقية الطقوس لتتأكد، هي الآن تدخل إلى الشرك من أوسع أبوابه فهل ستتراجع؟

أنهت ما كانت تقوم به ورفعت رأسها ونظرت لهما نظرة غريبة وقد اتسعت حدقتا عينيها فسّرت القشعريرة في جسديهما وقالت بصوتها الأنثوي الناعم الأمر أكبر مما كنت أتوقع لن أستطيع فك السحر لوحدي أنا بحاجة إلى مساعدة.

- سحر هل تقولين سحرا!! من المسحور ابني ام زوجته؟ كيف لا تستطيعين فكه؟ من يقدر على ذلك؟ قالت عناية وهي ترتجف.

- هدئي من روعك هناك أمور لا أستطيع أن أخبرك بها، كل ما يجب أن تعرفيه أن هذا السحر وضع من قبل شخص أقوى مني وله علاقات أكبر مني وحتى نتخلص منه يجب أن يتدخل من تكون قواه أكبر من قوى واضع السحر، والآن أخبريني هل ترغبين في إبطاله أم تودين التوقف عند هذا الحد؟

- طبعا طبعا أريد إبطاله وفي أسرع وقت.

- حسنا إنتظري قليلا.

نادت رملة باسم عبيدة مرات عديدة حتى فتح الباب وظهر الصبي الذي اصطحب المرأتان في أول مرة لرؤية رملة فطلبت منه أن يذهب إلى سيده ويخبره أن هنالك سحرا لم تقدر عليه وترغب أن يستلمه بدلا منها فهل بإمكانه فعل ذلك. غاب عبيدة مدة طويلة ثم عاد وقال لهم يقول سيدي أنه سيدخل في

خلوة بدءا من مساء اليوم ولن يعود من خلوته إلا بعد أسبوع وقتها سيناقشك في الموضوع.

- من هذا السيد؟ ماذا يقصد بخلوة؟ هل هو من سيقوم بفك السحر؟ قالت عناية بتوتر.

- سيدة عناية هنا لا يمكنك طرح الأسئلة نحن من نفعل ذلك أما أنت فعليك الاستماع لنا وتنفيذ ما نطلبه منك فقط، طبعا إذا كنت تثقين بنا وتودين أن نخدمك.

- آسفة يا سيدة رملة، اااانا فقط مشوشة بعض الشيء ولا أعرف ما يتوجب على فعله.

- فقط عودي إلى بيتك وارتاحي، وأنا سوف أحدد لك موعدا مع السيد بعد أسبوع وأبعث للسيدة فضة بخبر مع عبيدة وهي سوف تخبرك بموعد اللقاء. لكن قبل أن تغادري يجب أن أخبرك ببعض الأمور المهمة.

- نعم أنا أصغي إليك تفضلي.

- أولا لا يجب أن تخبري أحدا أنك ستقابلين السيد وإن رآك شخص ما هنا أخبريه أنك جئت لرؤيتي أنا، ثانيا يجب عليكما ارتداء ثياب بيضاء اللون من

الرأس إلى أخمص القدمين ولا تضعا أي زينة أو حلي، وأخيرا السيد لا يستضيف نساء أجانب لوحده سوف أرافقكما عند الزيارة لا داعي للقلق.

وافقت السيدتان على ما طلبته منهما رملة وغادرتا وهما تحملان الكثير من الاستغراب والتساؤلات التي لم ترغب رملة في توضيحها وجعلت الفضول سيد الموقف.

***

بعد أسبوع جاء الخبر الذي كانت تنتظره عناية من فضة بفارغ الصبر، فارتدت ثيابها البيضاء التي سبق أن جهزتها ولم تضع عليها أي عطر أو حلي كما أمرت السيدة رملة تماما وساقت نفسها إلى بيت فضة التي كانت جاهزة أيضا فشقا طريقهما للقاء السيد المجهول.

كأول مرة استقبلهم عبيدة عند مدخل البيت وقادهما إلى حجرة رملة فرحبت بهم وطلبت منهم أن تتبعوها، خرجوا من حجرتها باتجاه الحجرة الأخرى المقابلة لها؛ طرقت رملة الباب ثم فتحته ودلفت وأمرتهم أن يدخلوا أيضا.

كانت الحجرة أكبر قليلا من الأولى ولكن لا يختلف أثاثهما كثيرا، أرضية مفروشة بسجاد أحمر، مجلس كبير يتوسط الغرفة، فراء وجلود حيوانات معلقة على

الجدران الخشبية والكثير من الشموع، أما الرائحة فكانت مختلفة عن رائحة غرفة رملة كثيرا، لا يمكن وصفها إلا بكلمة واحدة رائحة الموت.

كان السيد يجلس كسلطان يتربع على عرشه، ثيابه سوداء سواد الليل ورأسه مغطى بعمامة سوداء أيضا، التجاعيد البارزة على وجهه تثبت أنه كبير في السن، له لحية طويلة جدا جعلها الشيب ناصعة البياض.

جلست النسوة أمامه بعد أن أشار لهم بفعل ذلك؛ كانت عناية وفضة تشعران بكثير من الارتباك لكنهما جربتا إخفاء ذلك برسم بابتسامة مزيفة حتى جاء صوت السيد الهادئ ليطمئنهم.

- مرحبا بكما في بيتي، أنا زوج السيدة رملة ألقب بقلب العقرب أود منكما أن تطمئنا نحن لسنا بمشعوذين هدفنا مساعدة أكبر قدر من الناس على فك السحر الذي يؤذيهم به السحرة، بعض الناس والرقاة لا يحبوننا لأننا نعالج الأمور بطريقتنا الخاصة ولا نعتمد على الطرق الشائعة ولكن يمكن أن أضمن لكم أن طرقنا هي الأنجح.

بينما كان قلب العقرب يعرف عن نفسه كانت فضة تهمس لعناية قلب العقرب ما هذا الاسم! بدأت أشعر بالذعر.

كان سمع السيد جيدا فابتسم بطريقة غريبة وأردف

- من فضلك يا سيدة هذا المكان حساس جدا هنالك من يسمع كل ما تقولينه حتى ولو كان تمتمة لذا أنصحك أن تلزمي الصمت التام مالم أطلب منك الحديث، أخشى أن تقولي شيئا سيئا فتصابين بلعنة أنت في غنى عنها.

شحب لون وجهيهما وأحستا أن الدم توقف عن التدفق في جسديهما، هل هذه الغرفة مسكونة؟ هل ستصابان بأذى.

- بالنسبة لإسمي صحيح أنه يبدو غريبا ولكنه ليس بذلك القدر من التعقيد، العقرب يفرز سما قاتلا ولكنه يعرف جيدا كيف يحمي نفسه من ذلك السم لذا فأنا قلب العقرب.

أنهى جملته وتلك البسمة لم تفارقه منذ أن بدأ حديثه معهم، غريبة مثله ومثل اسمه تحمل الكثير من المعاني التي فشلتا في تفسيرها.

انضمت رملة إلى النقاش وأخبرتهم أن السيد طيب القلب ولكنه لا يحب أن يشوش عليه أحدهم عمله ثم وجهت الكلام إلى زوجها وطلبت منه أن يشرح لهم ما توصل إليه.

أخبرهم قلب العقرب أن ما أصاب ابن عناية و زوجته من فعل فاعل و ليس بمرض و التخلص من هذا السحر صعب جدا و لكنه قادر على فعل ذلك إلا أن الأمر سيكلف الكثير خاصة و أن المواد التي يستخدمها في فك مثل هذا النوع من

السحر نادرة جدا و الوصول إليها شبه مستحيل لذا هو لن يطلب من عناية أن تحضر له أيا من هذا المواد سيتكلف بالأمر و هي تدفع له ثمن كل شيء بعدها ، ثم أضاف إلى حديثه انه من حقها أن لا تثق به في بداية الأمر فبعد كل شيء يظل شخصا غريبا لذا لن يطلب المال الآن سينتظر حتى يتحقق مبتغاها و من ثم ستأتي له طواعية و تلقنه ثمن هذه الخدمة.

عادت عناية إلى بيتها كالمرات السابقة في انتظار موعد جديد مع قلب العقرب وزوجته رملة، كانت تتمنى أن يكون الموعد قريبا حتى تعرف آخر المستجدات وفي نفس الوقت تمنت أن يكون بعيدا حتى تتمكن من جمع المزيد من الشجاعة لمقابلة الزوجين الغريبين، صار ليلها نهارا بعد ما رأته في بيتهما، ترغب في التوقف عما تفعله لكنها تقنع نفسها أن الله سيغفر لها، بكت في كل سجدة لها وهي تطلب الغفران.

بدأ قلب العقرب طقوسه الغريبة بعد أن اختلى بنفسه في حجرته، أشعل الكثير من الشموع وبخر الغرفة بالعقاقير التي اعتاد استعمالها وبعدها ذهب إلى مجلسه وأفرغ الكسكس في إناء خشبي اعتادت النساء على استخدامه لتحضير هذه الأكلة، وضع إناء زجاجيا فوق المبخرة وأفرغ فيه الماء ثم بدأ يتمتم بكلمات غريبة وكأنه يرقي الماء وأضاف الكثير من الأعشاب للماء حتى تغير لونه إلى البني. أخذ ذلك الماء ورش الكسكس به ثم اتجه إلى خزانة تقبع في زاوية الحجرة كانت

موصده بقفل كبير، فتحها وأخرج منها علبة وعاد إلى مجلسه؛ فتح العلبة وأخرج منها شيئا قد يصيب من يراه بسكتة قلبية أو جلطة دماغية، يدي طفل صغير تضم راحة اليد والذراع فأمسك كل يد من ذراعها وبدأ يخلط الكسكس بهما في حركات دائرية وهو يردد تعويذته السحرية.

بعد أيام أرسل بخبر إلى عناية فحضرت إليه، سلمها الكيس الذي خزن به الكسكس المسحور وأخبرها أن تطبخه وتطلب من ابنها وزوجته تناوله وتنتظر الخبر السار.

أجابت عناية بأنه يصعب عليها ترك سليم ورحمة يتناولان الكسكس وحدهما فقط، لأن قواعد بيتهم تنص على أن يتشارك الجميع كل شيء ولن تقدر على تفسير إصرارها على منع البقية من مشاركتهم هذه الوجبة فطمأنها قائلا إنه لا مشكلة إن أكلت كل العائلة من طبق الكسكس فهو لن يضرهم بشيء وسيفك سحر الزوجين المعنيين فقط، سرت بهذا الكلام فالمهمة أصبحت سهلة عليها.

في بيت العائلة وكما جرت العادة كل يوم جمعة تحضر عناية الكسكس بكل محبة وتفاني لأفراد أسرتها، هذه المرة كان الكسكس غريب الطعم ومختلف اللون عما ألفوه بعدما خلطه قلب العقرب بالكثير من الأعشاب والعقاقير ولكن لم يكن هذا سببا كافيا يمنع عناية من تنفيذ خطتها فبمجرد أن بدأ الجميع يتساءل جاءهم الرد الشافي.

- اليوم حضرت لكم طبق الكسكس بالحَمَامَّةِ جلبته لي فضة من عند إحدى قريباتها التي تقطن في منطقة جبيلة، وهذا النوع منتشر جدا هناك فهو يحضر عن طريق خلط مجموعة من الأعشاب كالحلحال والنعناع البري وغيرها من الأعشاب المفيدة جدا للجسم لأن لها خصائص طبية، كما أن طعمه جيد جدا، تفضلوا شهية طيبة.

ثم صبت كامل اهتمامها على سليم ورحمة لتتأكد أنهما تناولا القدر الكافي منه وهذا ما حدث فعلا فابتسمت وهي تأمل أن تحقق غايتها هذه المرة.

دلف إلى الصف وصاح معلنا بكل ثقة أنه هنا لحمايتها لن يسمح لهم بالسخرية منه

***

قال الله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ الحجرات :11

الفصل الثالث

استيقظ قاطنو البيت على صوت صرخاتها التي ملأت المكان ، كانت تصرخ بكل ما اوتيت من قوة و كأن أوصالها تتقطع و كأن جسدها يحرق ، كان البرد شديدا في الخارج و سليم واقف أمام باب غرفته يرتجف من شدة البرد و الخوف معا ينتظر أن تخرج أمه أو القابلة لتخبره أن رحمة وضعت طفلها و كلاهما بخير ، تسرب صوت القابلة من تحت الباب فسمعها تحث رحمة على الدفع بكل قوتها مرة واحدة و رحمة تتألم في كل محاولة لإخراج الروح الجديدة التي ترقد داخلها إلى هذا العالم ، شعرت بالتعب الشديد بعد كل تلك المحاولات و ملأت ذرات العرق وجهها الشاحب لكنها لم تستسلم لأن غريزة الأمومة عندها كانت في أوجها لا تستطيع أن تصبر أكثر من هذا حتى تحمل مولودها بين ذراعيها و تنضم إلى عالم الأمهات.

اختلط صوت صراخ رحمة بصوت الوافد الجديد، نعم إنه صوت بكاء طفل رضيع الحمد لله الحمد لله أخيرا رزقني الله، قال سليم في داخله والدموع تنهمر من عينيه.

قطعت الحبل السري ثم لفت المولود الجديد بقطعة من القماش الناعم ووضعته على صدر أمه التي عادت الروح إليها ثانية بعد أن سمعت صوت بكائه الذي هدأ ما أن شعر بدفيء حضن والدته.

خرجت عناية لتطمئن ابنها سليم ولم تكن تبدو مسرورة جدا فاستغرب من أمرها وخاف أن يكون الطفل أو رحمة أصابهما مكروه فهو ليس مستعدا لتلقي خبر كهذا بعد فرحته.

- اطمئن هما بخير و الحمد لله، لكن رحمة أنجبت بنتا، قالت جملتها وهي تشعر بالكثير من الحنق.

- ولد أو بنت كلاهما نعمة من الله، يكفيني أن الله استجاب لدعائي المتواصل. رد عليها سليم والبسمة تملأ وجهه.

عناية كان لها رأي آخر، كانت تريد ولدا ذكرا يحمل اسم أبيه ويضمن استمرار نسل سليم، شعرت بالضيق بعدما تذكرت نساء القرية اللواتي سينتقلن من قصة سليم ورحمة العقيمين إلى سليم ورحمة اللذان أنجبا بنتا، ثم أقنعت نفسها أن هذا الحال أفضل من سابقه والأمل صار موجودا لربما تحمل رحمة مرة أخرى.

هذا هو الحال في قريتهم، الجهل يغلب عليهم فيعيبون العقيم وأب البنات والمريض والأعرج والأبرص وغفلوا أن الله هو الرازق وهو الشافي وهو المبتلى، همهم الوحيد هو تتبيل جلساتهم بالحديث عن محن غيرهم.

حمل سليم ابنته بحذر شديد وقرب فمه من أذنها وبدأ يتلو سورة الفاتحة عليها بصوت يريح النفس ويطمئن القلب ثم قال سأسميها هبة وقبل جبينها والفرحة لا تفارقه.

***

مضت أيام قليلة على ولادة هبة التي كانت حرارتها ترتفع كل ليلة بشكل غير طبيعي ولا تتوقف عن البكاء فيصحبها والدها إلى المستوصف بعدما فشلت طريقة كمادات الماء البارد في خفضها، فيبيت معها هناك ويعود بها في الصباح إلى البيت فتهدأ قليلا حتى يحل الليل مرة أخرى وتصاب بما تصاب به.

أجرى لها الأطباء العديد من التحاليل والفحوصات الشاملة لمعرفة سبب ارتفاع درجة حرارتها وكانت كل الأمور تبدو طبيعية، فتذكر سليم ما كان يعاني منه هو ورحمة مسبقا شخصان سليمان لا يقدران على الإنجاب، هل تلك اللعنة مازالت تطارده؟ هل انتقلت إلى ابنته؟

ظل حال هبة على ما هو عليه وكل فرد من أفراد الأسرة يتقطع قلبه لرؤية هذه الروح الملائكية تصارع المرض لوحدها، حتى أنها لا تعرف كيف تشتكي أو تخبرهم بما يحدث لها فقط تبكي حتى ينفذ الدمع من عينيها.

مرض شخص في البيت يجعل الحياة تتوقف فترجع بلا طعم ولا لون، صحيح أن المرض يسبب الألم لبدن المريض فقط لكن الألم النفسي يحل بكل قريب منه وبكل ركن من أركان البيت، البيوت تشعر بسكانها.

عناية التي أصابتها خيبة أمل عندما ولدت هبة لا تتوقف عن البكاء الآن كلما وضعت يدها على جبين هبة وأحست بالحر الذي ينبعث منه، ربما تكون قاسية في غالب الأحيان، ربما تحب التحكم في حياة أفراد عائلتها لكنها بشر بالنهاية هي أم أيضا تعرف معنى أن يعاني صغيرها، تعرف أن المرض شيء لا يعقل أن يتمناه عدو لعدوه.

تنهدت في محاولة لإخراج كل الهم الذي تحمله بجعبتها، ثم تذكرت رملة وقلب العقرب هما من ساعداها في قضية سليم ورحمة فبعد العلاج الذي قدماه لها بشهور جاء خبر حمل رحمة، ربما بإمكانهما مساعدة هبة أيضا، لا ضير من المحاولة.

في الصباح الباكر حملت نفسها إلى رفيقة دربها فضة تشكو همها وتطلب مرافقتها لزيارة رملة فوافقت فضة بلا تردد وتوجهتا مرة أخرى إلى بيت السيدة رملة في رحلة للبحث عن ترياق لهبة الصغيرة.

استقبلتهم رملة بكل فرح وسرور وكأنها كانت تنتظر هذه الزيارة منذ زمن، جلست تسألهم عن حالهم وأحوال أسرهم فشرعت عناية تسرد لها قصة هبة وما يحدث لها والدموع تنزل من عينيها.

أصغت رملة لحديث عناية بكل اهتمام وما إن فرغت هذه الأخيرة من كلامها، ابتسمت لها رملة ابتسامة هادئة تشبه تماما ابتسامة زوجها الغريبة ودون أن تنبس ببنت شفا غادرت الغرفة وتركت السيدتين حائرتين ينتظران عودتها.

رجعت رملة بعد أن غابت لمدة ليست بالطويلة تحمل بيدها صندوقا مغطى بقماش حريري ذو لون أزرق ملائكي، توجهت إلى مقعدها في المجلس ووضعت الصندوق على الطاولة، فتحته وأخرجت منه عقدا مصنوعا من أحجار حمراء اللون، كان العقد في غاية الجمال وتبدو أحجاره ثمينة ومميزة، قالت وتلك الابتسامة تعلو وجهها.

- هذا عقد من العقيق الأحمر، هل تعرفون اسمه؟

- لا لم يسبق لنا رؤيته مثل هذا النوع من الأحجار، هل هو حجر كريم؟ سألت فضة وهي تبدي إعجابها بالعقد.

- أصبت، إنه حجر كريم أصيل ويقال بأنه كان الحجر الأول في درع هارون، استخدم قديما من طرف اليونان والروم في المعارك، قالوا بأنه حجر روحي يجلب الشجاعة وقوة التحمل، يعزز الدفاع عن النفس ويجلب الحظ أيضا.

- سألتنا عن اسمه، هل له اسم محدد؟ قالت عناية باهتمام شديد.

- نعم يدعى كارنيليان، يطلق هذا الاسم على أحجار العقيق التي يتباين لونها من البرتقالي المصفر إلى الأحمر البني.

- لكن سيدة عناية لا أفهم لما تخبرينا عن حجر الكارنيليان هذا؟ سألت فضة باستغراب.

- سوف أهدي هذا العقد لطفلتنا الصغيرة هبة، آمل أن يساعدها في التغلب على ما تعاني منه.

- هل مفيد حقا! ماذا يمكنه أن يفعل لها؟ سألت عناية وقد ظهر وميض أمل على وجهها.

- نعم، بالطبع سيفيدها، كما سبق أن أخبرتك إنه حجر روحي، لا تنسي أن هبة ولدت بعد أن فقد والداها الأمل وكبرا في السن، ربما أصابتها عين أو حسد فمرضت، وبوجود هذا الحجر معها ستكون محمية.

- سيدة رملة كيف يمكنني أن أشكرك على مساعدتك لي؟ أخبريني كم يكلف هذا العقد سأشتريه منك؟ قالت عناية وهي تمسك يدي رملة وكأنها تترجاها أن تبيع لها العقد.

- أخبرتك أن العقد هدية مني لهبة، لا تنسي أن هذه الطفلة ثمينة بالنسبة لي وأتمنى لها الخير دائما.

- شكرا، شكرا لك، بل إن كلمات الشكر قليلة جدا حتى أرد ثمن الخدمات التي قدمتها لي أنت والسيد، أتمنى لكما الصحة وطول العمر.

- لا داعي لشكري إنه لمن دواعي سروري أن أقدر على مساعدة الغير، لكن سيدة عناية من فضلك أبقي هذا العقد مع هبة دائما ولا تبعديه عنها فتعود لحالها، يجب أن يرافقها لبقية حياتها.

- بالتأكيد سأفعل وسأنبه على أمها أيضا.

كان ذلك العقد بمثابة طوق نجاة لهبة، بعد أن وضعته رحمة في لحافها بدأت حرارتها تنخفض شيئا فشيئا فهدأت الصغيرة وهدأت أعصاب أسرتها معها.

***

مرت الأيام و الشهور و السنين على العائلة بهدوء و عادت حياتهم إلى مجراها ، حياة طبيعية روتينية لا تخلو من المشاكل و النقاشات بين الكنائن و شغب أطفالهم فبعد أن فارقت عناية الحياة صارت كل واحدة من كنائنها مسؤولة على زوجها و أولادها ، تحقق الحلم الذي طال انتظاره ، أو ربما صار كابوسا الآن ، تربية الأطفال و تعليمهم و القيام بالمهام المنزلية في وقت واحد ليس بالأمر السهل و قد تأكدن أنه لا وجود لتلك الحياة البسيطة و المثالية التي كن يتحدثن عنها، ربما سيسلكن نفس طريقة عناية في نهاية المطاف من أجل إدارة شؤون حياتهم.

رحلت الغالية التي كرست حياتها لكل فرد من أفراد العائلة صغيرا كان أو كبيرا، رحلت وتركت بداخل كل واحد منهم بصمة منها وندبا في قلبه خاصة بعدما عانت منه في أيامها الأخيرة، كانت طريحة الفراش لا تقدر على الحديث وتعبر عن الأوجاع التي تعتليها بالأنين فقط، رافقتها كوابيس عن السحر والموت وعقاب الآخرة، ودت لو أن عقدة لسانها تفك وتقص عليهم ذنبها فيدعوا لها بالمغفرة إلا أن الأوان قد فات فالروح وصلت للحلق وحان وقت المغادرة.

بالرغم من أن رحمة لها بنت واحدة لكن ربما تكون أكثر واحدة تعاني بينهن، أتمت ابنتها هبة الستة سنوات الآن وكلما كبرت هذه الطفلة يوما آخر أصبح الأمر صعبا على والديها أكثر، غريب أمرها هي لا تشبه الأطفال في عمرها.

كانت عائلتها تكتشف في كل مرة أن هناك ما يدعو للريبة في تصرفاتها فعندما كانت بعمر الثلاث سنوات انتبهت أمها أنها تستيقظ كل ليلة و تجول المنزل كاملا في الظلام ثم تعود لفراشها وحدها دون أن يرشدها أحد للطريق و هذا تصرف غريب لا يصدر عادة من طفل صغير يخشى أن يبقى لوحده في الظلام ، كما أن ابنة عمها اشتكت منها عدة مرات و أخبرتهم بأن هبة تقطع جميع الدمى التي تعيرها لها وحينما سألها عمها لما فعلت ذلك أجابته بأن الدمى تسخر منها و تخبرها أنها بشعة فضحك عليها و قال لها لديك خيال واسع يا هبة ، الدمى لا تتحدث.

ليس هذا فقط، فقد صدم الجميع حين بدأت تبكي ذات مرة بلا توقف ورفضت تناول الطعام فحملها والدها وبدأ يهدأ من روعها وقال لها من يجرأ على إغضاب أميرتي أخبريني بما ترغبين في تناوله وسأشتريه لك، فأجابته بابتسامة عريضة أبي لا أرغب في تناول اللحم مطهوا لا أحب طعمه أريده نيئا، ومنذ ذلك اليوم لا تتناول إلا اللحم النيئ.

***

يرسل الآباء أطفالهم إلى مدرسة صغيرة في قريتهم النائية التي تفتقد إلى أبسط الإمكانيات فيتلقنوا حروف اللغة العربية ويحفظوا ما تيسر من القرآن، اليوم هو أول أيام هبة في هذه المدرسة وهي جد متشوقة لاكتشاف عالم جديد وتكوين صداقات فقد ملت من تواجدها في البيت مع أبناء عمها فقط.

رسمت هبة في مخيلتها الوردية مغامراتها اليومية مع زملائها في المدرسة تصلح أن تكون كتابا تحت عنوان مغامرات هبة الصغيرة لكن صدق من قال ليس كل ما يتمناه المرء يدركه ، تحول الحلم الجميل إلى كابوس أسود ، ما أن دلفت إلى الصف الدراسي و البسمة تعلو وجهها اصطدمت بكم هائل من التنمر ، حرفيا كان الجميع يتحدث عنها فقط سمعت أحدهم يقول انظروا إلى هذه الفتاة كم أنها بشعة شعرها قصير و مجعد عيناها كبيرتين و مرعبتين حتى أن أنفها محدب ، و آخر يصرخ لا تقتربوا منها إنها فتاة مسكونة أخبرتني أمي أنها تمشي في الظلام و تأكل اللحم نيئا ، فصار الصف في حالة من الهرج حتى وصل المعلم و طلب منهم الهدوء و الجلوس في أماكنهم.

سكنت هبة في مكانها ثم نظرت إلى الطاولة التي كانت أمامها كانت تجلس عليها بنت حسنة المظهر فتقدمت هبة لتجلس بجوارها لكنها صدمت برد فعل الفتاة التي صرخت وأخبرتها أن المكان محجوز، بدأت هبة تتقدم بين الصفوف وكلما وجدت مقعدا شاغرا بجانب أحدهم يمنعها من الجلوس حتى وصلت إلى آخر

طاولة في الصف، كان يجلس عليها صبي فابتسم لها ولم يمنعها من الجلوس معه فسرت بذلك.

الأيام تمر والأطفال يعاملون هبة على أنها كائن فضائي أو مارد خرج من مصباح ينتهزون كل فرصة للسخرية منها بل أنهم تمادوا إلى ما هو أكثر من ذلك فصاروا ينتظرون خروجها من الصف بعد نهاية الدرس ويقذفونها بالحجارة فتعود إلى بيتهم بألمين، أحدهما جسدي والآخر معنوي.

رفضت عدة مرات الذهاب إلى المدرسة لكن والديها أصرا على إرسالها وأخبراها أن كل الأطفال مشاغبون وسيأتي يوم يعتادون فيه عليها ويصبون شقاوتهم على أحد غيرها فمنذ أيامهم يحدث هذا بين الأطفال.

حسن الصبي الذي سمح لهبة بالجلوس إلى جانبه لم يشاركهم في التنمر عليها او السخرية منها، هو يبتسم لها كل صباح حين تصل إلى مقعدها ولكنه لم يحدثها يوما.

في طريقه إلى بيته صادف هبة تجلس القرفصاء وتبكي بحرارة شديدة، تبدو في أقوى لحظاتها ضعفا، لم يسبق له أن أرى مشهدا كهذا لم يعرف ما يتوجب عليه فعله، اقترب منها ولفظ اسمها بهدوء هبة ماذا حصل معك لماذا تجلسين هنا سيقلق عليك أهلك إن لم تعودي إلى البيت.

رفعت رأسها فبدى وجهها محمرا من شدة البكاء والدموع تغطي كل خلية منه وقالت بصوت متحشرج

- أهلي يقلقون علي! وضحكت بسخرية ثم أضافت، الجميع يكرهني أمي، أبي، أعمامي، أولادهم وأطفال المدرسة، سمعتهم جميعا يتحدثون بالسوء عني، هل لأني بشعة؟ لم أخلق نفسي وإلا لكنت اخترت أن أكون الأكثر جمالا، أم لأني لا أخاف الظلام وأجد به السكينة؟ أم لأن طعامي المفضل يختلف عن المقاييس المعتاد عليها؟ ماذا فعلت ليكرهوني أخبرني ما العيب بي؟ وأنت لماذا لا تفعل مثلهم هل تشعر بالشفقة علي؟

- أنا أراك شخصا عاديا مثلك مثل باقي زملائنا في الصف لست بمميزة، لا أفهم لما كل هذا الاهتمام صُب نحوك، قال جملته وكأنه يشعر بالغيرة لأنها محور انتباه الجميع.

- حقا؟ ألا تراني بشعة وغريبة؟ هل انا مثل البقية؟

- نعم مملة مثل البقية، لا تكوني مغرورة لا أحد يهتم لأمرك فقط لأنك لم تدافعي على نفسك وجدوك وجبة سهلة للتسلية.

فرحت هبة لأن أحدهم اعترف بأنها عادية و مملة لوكان شخص غيرها لغضب بعد سماع هذا ، لكنها كانت تتمنى القليل فقط ، تتمنى أن يراها الآخرون مثل

بقية الأطفال و يعاملوها على ذلك الأساس لا تريد أن تكون مميزة ولا أن تكون محط أنظار ، زرعت كلمات حسن الشجاعة بداخلها فجعلت منها درعا يحميها من التنمر الذي كانت تتعرض إليه ، حفرت كلماته التي وصفها فيها بالعادية و المملة داخل عقلها و أصبحت تدافع عن نفسها ما استطاعت و كان الداعم القوي لها حتى تمكنت من تحرير نفسها من الفقاعة السوداء التي قادها المجتمع إليها و كسبت أول و أوحد صديق لها و ما أجملها من صداقة.

تذكرت كيف نظر إليها أول مرة وابتسم دون أن ينبس ببنت شفا فطأطأت رأسها وأجابت بخجل أنا أوافق

***

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الروم: 21

الفصل الرابع

افاقت من نومها العميق وهي تتثاءب وكأنها ترغب بجرعة أخرى من الراحة، نزعت الغطاء عنها ونهضت من سريرها، كانت ترتدي ثوبا ابيضا طويلا قصير الأكمام، شعرها منسدل على كتفيها بطريقة غير مرتبة، وقفت أمام مرآتها وابتسمت لنفسها التي لم تراها بهذا الجمال من قبل.

كبرت فعلا وتغيرت ملامحها، شعرها القصير المجعد صار ناعما يغطى نصف ظهرها، بشرتها الشاحبة صارت ناعمة نعومة الأطفال ونقية نقاوة الحليب، أنفها المحدب مازال موجودا بل وصارت تداعبه كل يوم وتقول بأنه يميزها، وصفت نفسها بالدودة التي تشرنقت فتحولت إلى فراشة.

اتجهت إلى الحمام لتغتسل فسمعت صوت أمها تصرخ عليها

- هبة تأخر الوقت ولا تزالين نائمة من أين لك بكل هذا الكسل يا بنيتي، سوف يصل الناس وأنت غير جاهزة بعد.

كانت هبة منغمسة في أحلامها الوردية تدندن أغنيتها المفضلة وهي تفرك شعرها المغطى بفقاعات الرغوة فلم تنزعج مما قالته أمها.

أنهت حمامها ووقفت مرة أخرى أمام مرآة غرفتها تتغزل بنفسها وشعرها المبلل يبلل سجادة الغرفة وهي غير مبالية بذلك.

أخرجت فستانا برتقالي اللون من خزانتها، كان الفستان طويلا كفاية ليغطي ساقيها الطويلتين، القت به فوق السرير وبدأت تجفف شعرها وبعد أن فرغت ارتدت فستانها ووضعت القليل من الزينة على وجهها ورشت عطرا برائحة الزهور على جانبي رقبتها ومعصم يدهها وابتسمت لنفسها ثم انتعلت حذائها ذو الكعب العالي قليلا.

خرجت من غرفتها ثم عادت مسرعة وكأنها نسيت شيئا مهما، فتحت أحد أدراج خزانتها وأخرجت علبة ملفوفة بقماش حريري أزرق اللون كان بها عقد الكارنيليان، فضمته إلى صدرها وقالت

- اشتقت لك يا عقدي الجميل لم أرك منذ كنت بعمر السادسة، مرت أربعة عشر سنة بالفعل، أعدك أنك لن تفارقني بعد الآن أبدا.

رافق هذا العقد هبة منذ أن جلبته لها عناية رحمها الله، فكانت رحمة تضعه لها داخل لفتها وهي رضيعة، ثم في جيوب ثيابها بعد ان صارت طفلة، وحين دخلت هبة المدرسة خافت رحمة أن يضيع منها العقد أو يسرق فخبأته من أجلها، وها هي أخيرا تضعه في الموضع الذي صنع من أجله لأول مرة، حول عنقها.

***

بخطوات ثابتة وواثقة دلفت إلى غرفة الضيوف وهي تحمل صينية القهوة التي انبعثت رائحتها في الأرجاء، وضعت الصينية على الطاولة واتجهت نحو النسوة اللاتي كن يتفحصنها بتمعن منذ أن خطت خطوتها الأولى في الغرفة لتسلم عليهن.

كانت نظرات الإعجاب واضحة عليهن فارتاحت لذلك، لم تميز من بينهن إلا أم حسن وأخته الكبرى. جلست بعد أن دعتها أمها لفعل ذلك وبدأ حديث النسوة الطويل الذي لا تخلو جلسة لهن منه، كانت تتظاهر أنها تشاركهم الحديث ولكن عقلها كان يفكر في حسن، تنتظر بفارغ الصبر رؤيته.

بعد ساعات من الحديث والمزاح وتناول القهوة والشاي طلبت منها امها أن تضع غطاءً على رأسها لأن حسن سيأتي لرؤيتها، ذهبت إلى غرفتها وهي متوترة حتى كادت أن تضيع في الطريق وكأن بيتهم تغير في هذه اللحظة، وضعت خمارها بطريقة عشوائية وعادت إلى غرفة الضيوف.

دَقَ باب الغرفة ثلاث دقات متتالية ثم دلف، تقدم خطوات إلى الأمام وحيا الجميع، استجمع كامل قواه ورفع بصره من على الأرض وبدأ ينظر في كل جزءٍ من الغرفة باحثا عنها بين أمه وأخته وخالاته فأصابه التوتر؛ ابتسمت أمه وقالت له اجلس ثم نظرت لهبة وطلبت منها أن تقدم له القهوة، وقفت لتعد له فنجانا فأحست بقدميها ترتعشان وارتفعت درجة حرارتها حتى صار وجهها أحمرا وكأنها امرأة أخرى غير تلك التي دخلت نفس هذه الغرفة قبل ساعات بكل ثقة.

اتجهت نحوه تحمل فنجان القهوة ويداها ترتعشان فأمسكه وهو يتأملها باهتمام وشكرها ثم سألها عن حالها، خانتها الكلمات ولم تعرف كيف تركب جملتها فهزت رأسها وأجابت انها بخير وهربت مسرعة من الغرفة فقدماها لم تعودا قادرتان على حملها أكثر.

جلست على سريرها وقلبها يخفق بشدة، أخيرا تمكنت من رؤية حسن الذي كثر حديث نساء القرية عنه في كل مناسبة فيمدحن خلقه وعمله ومظهره وتبدي كل سيدة اعجابها به وتبوح عن رغبتها في ان يكون زوجا لابنتها. لقد كبر كثيرا وأصبح

شابا، لم يعد حسن الطفل الصغير الذي جلس بجانبها في المدرسة وكان الداعم الأول لها، تكاد لا تصدق أنه نفس الشخص فهي لم تره منذ توقفت عن الذهاب إلى المدرسة بعدما أخبرها والدها أنها تعلمت القدر الكافي وعليها ان تلزم البيت.

تذكرت اليوم الذي جاءتها أمها تحدثها عن أمر خطبتها فانزعجت وقالت انها لا تريد الزواج وكيف غيرت رأيها بسرعة حين علمت أن حسن هو الخاطب، احست في ذلك اليوم أن الحياة أنصفتها لأول مرة منذ ولدت بعدما عانته في طفولتها.

دلفت أمها لغرفتها وأخبرتها أن الضيوف قد غادروا وانهم كانوا جد فرحين بهذه الزيارة وأضافت أن والدها قد اتفق مع والد حسن على كل شيء وسيكون زفافهما قريبا لذا يجب أن تبدأ في التجهيزات ثم اقتربت منها وضمتها إلى صدرها بقوة وأخبرتها كم أنها تحبها وكم هي سعيدة لأجلها، كان مشهدا مليئا بالسعادة بين الأم وبنتها على قدر ما كان يحمل الفرح على قدر ما كان يحمل الحزن فالانفصال بعد كل هذه السنين صعب ولكن هذه هي الحياة. غمرت السعادة العائلة فردا فردا، كانت أجواء البهجة والفرحة طاغية عليهم وهم منغمسون في التحضير لحفل زفاف هبة.

***

الحياة فصول يمر كل شخص منا بشتاء عاصف وبرد قارص فتُظلم عليه مبكرا ويُجبر على التأقلم مع الصقيع حتى يذوب الثلج ويحل الربيع فينتعش صدره بالهواء الدافئ ويزهر قلبه من جديد. لهبة نصيب من هذا الشتاء، فبينما كانت تستعد للانتقال من الربيع إلى الصيف جاء خبر وفاة جدها والد أمها فقلب موازين الأمور.

في بيت جدها أقيمت مراسم الجنازة، كانت امها وخالاتها وكل حفيدات جدها مجتمعين في غرفة والحزن يملأ قلوبهن على فراق الأب الحبيب والجد الغالي وسرعان ما تطور هذا الحزن إلى أمر أكبر بكثير فبدأن بالصراخ وضرب خدودهن ونتف شعرهن والندب تماما كما كان يُفعل في العصر الجاهلي وكأن الاسلام لم يظهر بعد وكأنهن لسن نساءً مؤمنات.

حتى دخلت عليهن امرأة من المعزين وقالت

- اتقوا الله في أنفسكن ، إنه لمحرم ما تصنعن قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : "أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة على الميت" وما تفعلونه الآن يسمى بالنياحة وهو يعذب الميت في قبره ، وقال سبحانه وتعالى في سورة البقرة (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ • الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ • أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) صدق الله العظيم ، لذا عليكن بالصبر والدعاء له بالمغفرة والرحمة.

بعد ما قالته المرأة هدأ الجميع وعادوا إلى صوابهم وقامت احداهن فتوضأت واحضرت القرآن الكريم وبدأت تتلو سورة البقرة.

اطمأنت القلوب وهدأت الأنفس لسماع كلمات الله التي تُذهب الهم وتزيل الحزن لكن سرعان ما بدأت هبة تصيح بأعلى صوتها وصارت كل أطرافها ترتعش ثم وضعت أصابع يديها في أذنيها وسقطت مغما عليها.

نقلوها إلى غرفة ثانية أكثر هدوءً ظنا منهم انها لم تستطع تحمل الجو الكئيب وكثرة البكاء والكم الهائل من الناس في البيت، ظلت مستلقية على السرير بضع ساعات فاقدة الوعي فبعد فشلهم في ايقاظها قرروا تركها تأخذ قسطا من الراحة.

انتهت الجنازة وغادر الجيران وأغلبية الأقرباء وظل أفراد أسرة المرحوم فقط، كانوا يجلسون في غرفة المعيشة وكل منهم يسرح في عالم بعيد والعبرات تنهمر من أعينهم حتى عجّ صوت صراخ هبة مرة أخرى في المكان.

انطلق الجميع نحو مصدر الصوت، كانت لاتزال نائمة والعرق يقطر من جسدها وعادت تأن مرة أخرى وكأنها ترى كابوسا مرعبا مخيفا.

حاولت رحمة ايقاظها وبعد محاولات كثيرة فتحت عينيها أخيرا وقفزت إلى حضن أمها وهي تردد أنا خائفة، أنا خائفة. سقوها بعض الماء وهدأت أمها من روعها ثم سألتها عما يجري لها فأجابت بصوت خافت.

- حين بدأت تلك المرأة تتلو سورة البقرة شعرت بألم شديد في رأسي وبحَّرٍ في جسدي ثم بدأت أطراف يدي ترتعش وصار الصوت مزعجا جدا فصرخت حتى تتوقف وبعدها خارت قواي ولم أحس بشيء غير أنني كنت أقع.

- ربما كثرة الأصوات والأشخاص أرهقك قالت رحمة مطمئنة ثم أضافت، هل زارك جدك في الحلم فتأثرت؟

- لا يا أمي لم أكن أحلم بجدي، كان حلما غريبا ومخيفا.

دخل سليم الغرفة مفزوعا حين علم بما جرى لابنته الوحيدة، أخذها في حضنه وكأنه لم يلتقي بها منذ سنوات، حاول أن يمثل أنه بخير لكنه فشل في ذلك فخوفه كان واضحا ومع ذلك ابتسم لصغيرته وقال

- لا تقلقي يا هبتي، لن يصيبك مكروه والدك هنا.

نظر إلى رحمة نظرة فهمت منها أنه يطلب منها الخروج حتى يتحدث معها بعيدا عن مسمع ابنتها فنفذت طلبه، قبل جبين ابنته وأخبرها أنه سيعود بعد قليل وتبع زوجته.

- رحمة اعلم جيدا أنك تمرين بوقت صعب وأنك بحاجة إلينا حولك أكثر من أي وقت مضى، أستطيع تفهمك لأني سبق ان مررت بهذه التجربة لكني خائف ان تؤثر أجواء الموت والجنازة على هبة.

- فقدت ابي ولن يعود مجددا، لا أوّد أن أفقد ابنتي الوحيدة بعد كل ما عانيته حتى أنجبها، إن قلبي يتقطع عليها كلما أصابها سوء منذ أن كانت رضيعة، قالت رحمة والحزن يغلف كل كلمة من كلماتها.

- كل شيء سيكون بخير، سأعيد بها إلى منزلنا فالأجواء هناك هادئة، متأكد أنها سترتاح.

- اعتني بها جيدا من أجلي.

رافقت هبة والدها إلى بيتهم وتركت أمها وحيدة منكسرة تبكي ألم فقد والدها وألم خوفها على ابنتها، هكذا هي المحن تنزل دفعة واحدة وكأنها رشاش في معركة لن يتوقف حتى يطرح العدو أرضا.

انفطر فؤاده وانهمرت عبراته حين علم أنها ارتكبت ذنبا عظيما فتمنى أن يغفر الله لها

***

قال الله تعالى :﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران :133

الفصل الخامس

كانت تركض بكل قوتها حافية القدمين لا تعرف وجهتها تحاول الهرب منهم فقط، كلما قطعت بعض الأمتار تعثرت بجذوع الاشجار الملقاة على الأرض فتقف مجددا وتنظر إلى الخلف لتتأكد انهم لم يلحقوا بها بعد، لا تعلم أين هي كل ما تراه أمامها أشجار والمزيد من الأشجار ربما تكون غابة، لولا ضوء القمر لما تمكنت من شق طريقها وسط ذلك الظلام الدامس، بعد كل ذلك الركض وصلت إلى طريق مسدود لا يمكنها التقدم أكثر ولا العودة أدراجها.

تسارعت دقات قلبها وتجمد الدم في عروقها حين استدارت ورأتهم ينتظرونها، كان عددهم يفوق العشرة، أجسادهم هزيلة وقامتهم فارعة، يرتدون ثيابا حالكة السواد، وجوههم مغطاة بقلانس، لا يظهر منهم إلا أصابع أيديهم الطويلة.

تقدم أحدهم نحوها وأمسك بها من شعرها وبدأ بجرها والبقية يتبعونه، صرخت من شدة الألم فجسدها الضعيف كان يحتك بالأرض وظهرت عليه الكثير من الكدمات.

قطعوا مسافة طويلة ووصلوا أخيرا إلى وجهتهم، منزل وسط الغابة يبدو مهجورا، اصطحبوها إلى قاعة كبيرة مضاءة بالشموع المعلقة على الجدران، وسط القاعة أُضرمت نار كثيرة اللهب دار حولها مجموعة من الرجال ذوي الثياب السوداء والقلانس، قاموا بربطها حول أحد الأعمدة التي تمنع سقف القاعة من الوقوع واتجهوا إلى دائرة النار وأخذوا أماكنهم مع بقية الرجال.

دخل القاعة رجل يرتدي ثيابا بيضاء عكسهم لكنه كان يغطي رأسه بقلنسوة أيضا فلم تتمكن من رؤيته وجهه، كان يحمل بيده كتابا عتيقا، اتجه هو الآخر نحو

دائرة النار فخفض البقية رؤوسهم، فتح الكتاب وبدأ يقرأ منه، لم تفهم كلمة واحدة مما قاله لكن صوته زرع الخوف بقلبها أحست أن كلماته تعويذة سحرية او لعنة يمكن أن تصيبها، كانت تبكي بهدوء حتى لا تجذب انتباههم وتكون نهايتها قريبة.

انتهى الرجل من قراءة تعويذته فسجد البقية وكانت قبلتهم دائرة النار وبعد ان فرغوا من سجودهم اتجه اثنان منها نحوها وقاداها إلى حفرة النار وألقياها، شعرت بالنار تنهش كل خلية من جسدها فدوى صوتها في المكان.

***

استيقظت هبة صارخة مفزوعة والعرق يتصبب منها، إنه نفس الحلم الذي رأته في بيت جدها يتكرر في كل مرة تنام فيها منذ ثلاثة أشهر والغريب أنها في كل مرة تشعر أنه حقيقة، تحس بكل تفصيلة فيه وكأنها كانت هناك فعلا، وكأنها عادت من الموت.

على صوت صراخها أفاقت والدتها فهرولت لرؤيتها وكان حالها نفس حال كل ليلة.

- نفس الحلم مجددا؟ سألت رحمة.

- نعم أمي إنه هو، ألقوا بي في النار مجددا، لا أعرف لما في كل مرة أحس أن الحلم أصبح أكثر حقيقة وأشعر به أكثر من سابقتها، قالت هبة باكية.

- كان الله في عونك يا بنيتي، ذعلت بمجرد سماع ما ترينه فكيف الحال معك وانت تعيشين نفس الرعب عدة مرات.

- أمي تعبت، لم أعد أقدر على التحمل أكثر، ماذا أفعل؟

- سوف اتحدث مع والدك يجب أن نجد حلا، لا يمكن أن يستمر الأمر على هذه الحال وإلا ستجنين.

- أرجوك أمي لا تتركيني وحدي أنا خائفة.

هَدأَتْ رحمة هبة ثم ضمتها وطلبت منها أن تنام قليلا. عادت رحمة لغرفتها فوجدت زوجها مستيقظا أيضا، أخبرته أن هبة نامت مجددا فظهرت علامات الراحة على وجهه، ثم أضافت أنه يجب عليهم أن يجدوا حلا لمشكلة ابنتهم فهي تتعذب منذ ثلاثة شهور لوحدها وهم مكتوفي الأيدي، بدت علامات الحزن عليه مجددا وأخبرها انها محقة كان عليهم التحرك بدل مواساة هبة فقط ثم أضاف انه سيسأل غدا حتى يجد تفسيرا لهذا الحلم.

مع بزوغ الفجر استيقظ سليم توضأ واتجه للمسجد، ادى صلاة الصبح وبعد أن فرغ ذهب إلى إمام المسجد ليسأله عن تفسير حلم هبة.

رحب به الإمام فبدأ سليم يقص له ما حدث لابنته منذ سقطت مغما عليها في جنازة جدها حتى ليلة البارحة والحلم الذي يتكرر كل مرة، أصغى الإمام لحديثة وبدى عليه التأثر، حين فرغ من سرد قصته أجابه الإمام

- على حسب ما رويته لي بدءا من انزعاج ابنتك من صوت القرآن إلى الحلم الذي تراه كل مرة أستطيع ان اقول إن سحرا قد أصابها فهذه العلامات تظهر عادة عند الأشخاص المسحورين والله أعلم.

- سحرا! قال سليم متعجبا ثم أضاف لكن كيف، متى ولما؟

- العلم عند الله يا أخي سليم، لا تغفل أن الكون مليء بأصحاب القلوب السوداء الذين لا يخافون الله، ثم لم أقل إنه بالضرورة سحر لكن على حسب ما رويته لي أغلب الظن تخميني صحيح.

- أرشدني إلى حل من فضلك، قلبي يتقطع على ابنتي.

- القرآن، القرآن الكريم نور إنه يذهب الغم والهم، يمحي الحزن ويزرع مكانه التفاؤل، يزيل الاكتئاب ويشفي الروح، فإذا كان مشكل ابنتك نفسيا سيزول بإذن الله أما إن كان سحرا فستظهر علاماته أكثر وقتها نتأكد ونبدأ العلاج.

- أنار الله طريقك كما أنرتني، قال سليم للإمام شاكرا.

عاد سليم لبيته وأخبر زوجته عما دار بينه وبين الامام من حديث فذهبت مسرعة إلى هبة طلبت منها أن تتوضأ وتلبس إسدال الصلاة ثم جلبت لها مصحفا وقالت

- خذي المصحف وقرئي ما تيسر منه، من المفروض أن يكون القرآن رفيق دربنا فلا يمر يوم إلا وفتحنا المصحف لكننا بَعُدنا عن ديننا وانشغلنا بملذات الحياة والقيل والقال ونسينا ديننا، سيغفر الله لنا طالما أدركنا الصواب قبل فوات الأوان.

أمسكت هبة كتاب الله فتحته في سورة البقرة وبدأت تتلو، شعرت بالضيق في قلبها ثم بدأت تتثاءب لكنها قررت أن تواصل ولكن سرعان ما أحست بتعب شديد واختناق فوضعت المصحف جانبا وذهبت لوالدتها تخبرها انها لا تود قراءة القرآن فهو يشعرها بالتعب والنعاس والقلق، خطر ببال رحمة ما نقله

زوجها لها من حديث الإمام عن السحر فراحت إليه مسرعة تطلب منه أن يسأل الإمام إن كان ما حدث الآن مع هبة من أعراض السحر.

طار سليم مسرعا إلى المسجد باحثا عن الإمام فأجابه بأنها أعراض سحر وعليها بدأ الرقية الشرعية في أقرب أجل.

***

رافق الإمام سليم إلى بيته فطلب منه سليم ان ينتظره في غرفة الضيوف وذهب إلى زوجته وأخبرها ان تطلب من هبة التوضؤ والتستر جيدا وتلحق به لرؤية الإمام ففعلت ذلك. جلست هبة في مقعد بينما كان والدها يجلس بجانب الإمام في مقعد آخر تحدث معهما عن السحر وما يفعله بالمسحور كما أخبرهما بأنواعه وطرق علاجه والصعوبات التي يمكن أن تعترض طريقهم كما شرح لهم الطريقة الصحيحة للرقية الشرعية.

بدأت رحلة علاج هبة فكان الإمام يقرأ كل مرة آيات من سورة البقرة، يونس، الأعراف الفلق والناس ويختم الرقية بالدعاء لها كما ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللهم أذهب البأس رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا، باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك".

خلال الأيام الأولى من الرقية أحست هبة بألم في بطنها ودوار شديد وتصببت عرقا، وفي بعض الأحيان أصابها خمول ونعاس، تطور الأمر تدريجيا حتى صارت تصرخ بصوت عال وتفقد السيطرة على جسدها فتقع على الأرض وتبدأ بالتخبط حتى تفقد الوعي.

أرسل إمام المسجد بخبر إلى سليم يطلب منه أن يزوره في أقرب وقت ليحدثه عن أمر مهم للغاية، ما إن وصل الخبر إلى سليم أصابه القلق وغادر بيته مسرعا إلى الإمام الذي كان في المسجد يدرس أطفال القرية، ما أن رأى سليم طلب من الصغار كتابة السورة التي علمهم إياها على اللوح والتزام الهدوء لحين عودته واصطحب سليم إلى مكان هادئ وحدثه:

- أخي سليم عندما زرتني أول مرة أخبرتك أن سحرا قد يكون أصاب ابنتك، وقتها كنت أظن أنه سحر وضع لها بسبب غيرة أو حقد ولكن بعدما بدأت أرقيها اكتشف أن الأمر مختلف.

- تقصد أن هبة ليست مسحورة؟ إذن هي بخير ستشفى؟ قال سليم والأمل يملئ عينيه.

- سوف أشرح لك الأمر، العلامات التي ظهرت عليها هي علامات مس، أقصد أنها أغلب الظن ملبوسة من طرف جني، أخبرت العديد من زملائي بقصتها وكان رأيهم من رأيي والله أعلم.

- وما العمل كيف نخرج الجني منها؟ قال سليم والضعف باديٌ عليه.

- يَكمُن المشكل هنا، سبق لي التعامل مع مثل هذه الحالات وبعد عدة جلسات من الرقية ينطق الجني ونفهم منه من أين جاء ولما اختار هذا الجسد ونكتشف حتى إن كان مسلما أو كافرا واستنادا على هذه المعلومات نجد خطة علاج ونخرجه من جسد الملبوس.

- لكن لم يتحدث معنا أي جني منذ بدأنا الرقية.

- نعم إنه أمر غريب يرفض هذا الجني التواصل معنا أو إظهار نفسك وهذا الأمر ليس في صالحنا لأن البنت تعاني كثيرا.

- هل هناك حل أو طريقة أخرى؟

- سوف نستمر في الرقية حتى يتأذى أكثر وربما يستسلم ويخرج، هذا كل ما نقدر عليه حاليا.

عاد سليم إلى بيته فاقد الأمل، مكسور الجناح، فكر طوال الطريق كيف يخبر زوجته وابنته بالأمر، سوف تصابان بصدمة لكنه مضطر لفعل ذلك، كان يأمل ألا تخونه الكلمات ويتمكن من تهدئتهما وتبسيط الأمر لهما.

أحس بالتعب مع كل خطوة خطاها أصبح يشعر أنه تقدم بالسن مئات السنين ولم ينعم بحياة هادئة، خاض العديد من التجارب الصعبة ولم يحصل على فترة راحة بين الواحدة والأخرى، يتمنى أن تكون هذه آخر محطات الرحلة، يتمنى أن ينزل هو وعائلة إلى بر الأمان.

***

صارت قصة هبة حديث أهل القرية يتناقلونها وكأنها حدث نادر وحصري، ربطوا تصرفاتها وهي صغيرة بقصة الجني الذي يسكنها، كلما تصل قصتها لشخص يضيف إليها المزيد من البهارات وينقلها إلى الشخص الموالي وهكذا دواليك حتى وصل الخبر إلى القرية المجاورة أين تسكن فضة قريبة جدتها عناية رحمها الله فصدمت بما يحدث وقررت زيارتهم للاطمئنان على هبة.

صار جسد هبة هزيلا، ظهرت هالات سوداء تحت عينيها، لم تعد تقدر على الحركة كثيرا ولا تتحدث إلا قليلا، فقدت شهيتها وكثرت الأحلام المرعبة التي

تراها كلما أغمضت عينيها والأدهى من ذلك هو تلك الآثار الغريبة التي تظهر على جسدها كل صباح، تبدو وكأن شخصا أمسك سكينا ونقشها على جسدها النحيل، رموز غريبة شقت لحم جسدها وتركت ألما لا يحتمل.

ما أن رأت فضة حال هبة نزلت عبراتها تمنت لو بإمكانها المساعدة فهذه الطفلة عزيزة عليها لقد شهدت أدق تفاصيل ولادتها، طلبت فضة من رحمة إخبار سليم انها ترغب بمحادثتهما عن هبة فقادتها رحمة إلى غرفة الضيوف ونادت زوجها.

- والله إن قلبي يتقطع على رؤية هبة هكذا، كانت عناية تحبها وتهتم بها كثيرا وانا كذلك، سليم يجب ان تتحرك لا تترك ابنتك تتعذب هكذا، قالت فضة.

- وماذا عساي افعل يا خالة غير الرقية والدعاء لها طول اليوم وفي كل صلاة.

- لن تنفعك الرقية بشيء، هل نسيت كم رقيت نفسك من مرة أنت ورحمة ولم تنجبا بالرغم من ذلك، انت تضيع الوقت فقط، قالت وكأنها امرأة كافرة تلوم الرقاة.

- فضة ما الذي تقولينه! غفر الله لك، كيف لكلام الله ألا يكون شفاءً، صحيح أني تأخرت بالإنجاب ولكن الله استجاب لدعائها ورزقنا بهبة، قالت رحمة منزعجة من كلام فضة.

- ضحكت فضة ضحكة استهزاءٍ وقالت تظنين ان الدعاء وحده من جعلك تنجبين، أنت مخطئة لولا جهودي وجهود عناية ولولا مساعدة رملة وقلب العقرب لكنت عاقرا في نظر الجميع إلى اليوم.

- قلب من؟ عمن تتحدثين؟ ماذا تقصدين بجهودك أنت وأمي انا لا أفهم!!

شرعت فضة تقص قصتها هي وعناية مع رملة وزوجها قلب العقرب، كيف ذهبوا إليهم أول مرة وما فعلته رملة بثيابه هو ورحمة وصولا إلى قصة الكسكس وختمت الحكاية بعقد الكارنيليان الذي أهدته رملة لهبة وكان سببا في شفائها، كانت تحكي بفخر وغرور، ترى نفسها البطلة التي انقذت العائلة ثم دعت سليم لزيارة الزوجين متأكدة أن علاج ابنته موجود عندهم وانه يضيع الوقت فقط.

بينما كانت فضة تتحدث أصيبت رحمة بالذهول أما سليم احمر وجهه غضبا لكنه أمسك أعصابه وتركها تكمل الحكاية، ما أن فرغت ضرب الطاولة بكل قوته وصرخ في وجهها قائلا:

- حتما أصابك الجنون انت وأمي، أم أنكما كافرتان، تصدقان مشعوذا وتسلمانه أمركما، لا أصدق أن أمي المرأة العاقلة التي كانت تدبر كل أمور الأسرة بحكمة رضخت لك واتبعت طريق الكفر، كيف قابلت الله بعد ما فعلته؟ توبي إلى الله أمامك فرصة ما دمت على قيد الحياة، يا رب اغفر لأمي اغفر لها ما صنعت، قال سليم وهو يبكي بعد أن أدرك أن والدته ارتكبت مثل هذا الذنب العظيم.

- لم يكذب علينا من تسميه بالمشعوذ لقد ساعدنا فعلا ورأينا نتائج جهوده، قالت فضة غير مدركة لحجم الذنب الذي ارتكبته.

- قال الله تعالى في سورة طه ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾، إنما يخيّل لك أن سحره نفع، فاطلبي المغفرة من الله وعودي إلى دينك.

أنهى سليم جملته وغادر مسرعا فتبعته رحمة تسأله إلى أين يذهب فرد قائلا:

- سوف أضع حدا لهذا المشعوذ، طفح الكيل لن أسمح لهم أن يفعلوا بابنتي كما فعلوا بنادر، لن أسكت مجددا.

غادر وترك رحمة في حيرة، من نادر وماذا فعلوا به وما علاقة الأمر بابنتها!!

صرخ بأعلى صوته يجب أن يموت هذا اللعين

***

قال الله تعالى :﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ طه :69

الفصل السادس

انطلق مسرعا كالبرق والأفكار تتضارب داخل عقله، لم يستطع تقبل ما سمعه لكنه تفسير جيد لما يحدث، قرر أنه لن يسكت هذه المرة سينزع رداء الجبن عنه وسينقذ ابنته، لن يسمح للعنة نادر أن ترافقه لبقية حياته سيضع حدا للأمر مهما كلفه ذلك.

وصل إلى المسجد وبحث عن الإمام ليخبره عما حدث، فانصدم الإمام ايضا مما فعلته عناية وفضة وكيف نجحتا في كتم هذا السر لأكثر من عشرين عاما.

- ذنبهما عظيم وصل إلى حد الشرك بالله ولذا يتوجب على السيدة فضة ان تعترف بذنبها وتتوب مرة أخرى وتكثر الدعاء وتطلب المغفرة قبل أن يفوتها الأوان أما بالنسبة لوالدتك رحمها الله لا يسعنا إلا الدعاء لها.

-أخبرت الخالة فضة، لكنها غير مدركة لبشاعة ما صنعت، أسأل الله ان يهديها.

- علينا الذهاب إلى المشعوذ لنسأله عن نوع السحر الذي استخدمه، ولما يصر على أذية هبة.

- هل تظن أنه سيقدم لنا الجواب.

- العلم عند الله يجب علينا المحاولة، نذهب إليه غدا إن شاء الله، سوف أتحدث مع مجموعة من الرجال ليرافقونا لا نعرف ما قد يحصل هناك.

- معك حق، نلتقي غدا بحول الله.

في الصباح الباكر غادر سليم والإمام رفقة مجموعة من الرجال الصالحين الذين لم يترددوا في تقديم العون ما ان حكى لهم إمام المسجد القصة، شق الجميع طريقهم نحو بيت قلب العقرب الذي يقع في القرية المجاورة وكانت فضة قد وصفت له البيت وأين يقع تحديدا.

وصل الرجال إلى البيت المشؤوم وكان باب المدخل مفتوحا إلا أن خصالهم لا تسمح لهم بالدخول إلى بيوت الغير من دون استئذان فبدؤو بطرق الباب، بعد مدة من الطرق لم يظهر أحد، مرّ صبي أمامهم فأخبرهم أن يدخلوا وينزلوا إلى القبو فكل زوار البيت يفعلون ذلك ولن يخرج لهم أحد حتى لو ظلوا يطرقون الباب ساعات ففعلوا كما أخبرهم الصبي.

أصابهم الاشمئزاز من رائحة القبو، ثم سأل أحدهم أي باب يطرق من البابين المتقابلين فأجابه الإمام أن يبدأ بأي منها لن يفرق الأمر كثيرا، طرق الرجل الباب الذي يقع على يمينه فسمع صوت رجل يقول تفضلي يا رملة. نظر الرجال إلى بعضهم البعض واتجه سليم نحو الباب، فتحه بقوة ودلف فتبعه البقية؛ تفاجأ قلب العقرب حين رآهم فعادة لا يأتي أحد لغرفته إلا إذا اصطحبته رملة.

- لما لم ترافقكم السيدة رملة؟ أين هي؟

- أتينا لوحدنا نود التحدث معك في أمر هام قال سليم.

- أولا دعنا نعرف عن أنفسنا، جئنا من قرية مجاورة أنا إمام مسجد وهؤلاء رفاقي.

- لا تضيعوا وقتكم علي غادوا فورا، سئمت أحاديثكم يا من تدعون الدين، لن أقتنع بكلامكم ابدا.

- من قال إننا هنا لإقناعك أنك تشرك بالله، أنا هنا لأضع حدا لأعمالك القذرة، قال سليم بغضب.

- من أنت لتتحدث معي هكذا، قلت غادروا وإلا طردتكم بالقوة.

- أنا والد هبة، هبة التي تتعذب الآن بسببك لن أدعك تفلت من فعلتك.

- ابتسم قلب العقرب ابتسامته الغريبة التي لم تتغير بمرور الزمن ثم قال بدل أن تشكرني لأنني جعلت منك أبا بعد أن كنت عقيما.

كان سليم على وشك الرد لكن الإمام طلب منه الهدوء واستلم الكلام

- نحن هنا لنسألك عن السحر الذي وضعته للفتاة نود فكه قبل أن تدفع حياتها ثمنا لأعمالك الشيطانية.

- لا يمكنكم انقاذها، لقد أخلفتم بوعدكم لنا وما يحدث معها الآن جزاؤكم.

- ماذا تقصد بوعدنا لكم؟ نحن لا نعرفك من قبل ولم نقطع أي وعد لك، قال سليم وقد بدأ صبره ينفذ.

- بلي، فعلت أمك ذلك، وعدت رملة أن عقد الكارنيليان سيرافق هبة لبقية حياتها لكنكم أخلفتم بالوعد وأبعدتم العقد عنها أربعة عشر سنة كاملة.

- ما علاقة عقد الكارنيليان لا أفهم عما تتحدث.

- سأشرح لك وبعدها غادروا بيتي بدون رجعة، عندما لم ترزق بأولاد لجأت أمك لي وانا تواصلت مع الأسياد وتوسطت لك حتى تنجب، فرض الأسياد شرطا وهو أن يكون جسد مولودك خادما لهم فوافقت على ذلك ، بعدما ولدت ابنتك

زرعت الحمى بجسدها حتى تلجأ أمك لي مجددا وأتمكن من تحقيق شرط الأسياد ، عقد الكارنيليان الذي قدمته رملة لأمك عقد مسكون يحمل جنيا داخله ، ألا تعلمون أن الجني يمكن أن يسكن العقيق ؟ طبعا لن يحدث ذلك إلا إذا تدخل ساحر متمكن مثلي، قال جملته بفخر قم أضاف طالما أن العقد قريب من هبة يكون الجني حرا ويمكنه استخدام جسدها لتحقيق رغباته لكن إن أُبعد العقد عنها يظل الجني محبوسا داخله.

- ما الذي تقوله كانت ابنتي ملبوسة كل هذه السنين لهذا كانت تتصرف بغرابة في سنواتها الست الأولى ثم رجعت إلى طبيعتها؟

- نعم، رجعت إلى طبيعتها لأنكم أبعدتم العقد عنها وبعد أن ارتدته مجددا ظهر الجني وسينتقم، سينتقم لأنه ظل محبوسا بسببكم أربعة عشر سنة، أنتم سبب ما يحدث لها، لم يكن الجني ليؤذيها ابدا كان يتقاسم الجسد معها فقط.

اتجه سليم نحو قلب العقرب يود ضربه لكن صوت ابن أخيه أوقفه.

- عمي عمي أسرع معي إلى البيت هبة تحتضر وتود رؤيتك، قال جملته لاهثا بعد أن قطع مسافة كبيرة لإيصال الخبر.

تجمد سليم في مكانه، توقف قلبه عن النبض، كاد يقع من هول ما سمعه، عاد إليه رشده عليه أن يلحق بها قبل ان تغادر فانطلق راكضا وتبعه البقية.

***

وصل سليم إلى بيته واتجه إلى غرفة ابنته، كانت مستلقية في فراشها تأن من شدة الوجه، ملأت العبرات خديها، رحمة جالسة بجانبها ممسكة بيدها وتدعو لها، نظر إليها فوقع نظره على عقد الكارنيليان الملتف حول رقبتها، سحبه بكل

قوته فتناثرت حباته في أرجاء الغرفة، قبل جبينها وقال لها أن كل شيء سينتهي لقد تخلص من اللعنة ابتسمت له وقالت:

- أبي أمي أنا أحبكما كثيرا، آسفة لأنني أتعبتكم كثيرا في صغري، كان من المفروض أن أكون فتاة مطيعة لأنكم انتظرتم كثيرا للحصول علي، ارجوكما سامحاني لم أكن مدركة لما كنت أفعل.

- هبة توقفي عن الحديث يجب أن ترتاحي، اخبرك والدك أن كل شيء سيكون بخير.

- أخبرا حسن أنني ممتنة له، هو الوحيد الذي قبل أن يكون صديقا لي في المدرسة، علمني كيف أدافع على نفسي وأعاد لي الثقة، أخبراه أنني آسفة و ...

لم يعد جسدها قادرا على التحمل أكثر، لم تنم جيدا منذ أيام، لا تأكل شيئا مؤخرا، تحمل ألما داخل قلبها وآخر في جسدها، حان للروح أن تفارق الجسد، تود ان ترتاح من العذاب الذي يعتليها. أدركت رحمة أن وقت المغادرة حان فأسرعت تساعدها على ذكر الشهادتان.

غادرت هبة، غادرت الشمعة التي أنارت حياة رحمة وسليم، غادرت وتركت الألم والوجع والأهم أنها تركت انتقاما يجب أن ينفذ.

بقدر ما كان سليم حزينا ومتأثرا بوفاة ابنته بقدر ما كان ينتظر نهاية الجنازة وانقضاء أيام العزاء لينتقم لابنته الوحيدة.

خرج سليم إلى أهل القرية وقص عليهم قصة هبة بكل تفاصيلها وأخبرهم أنه لا يريد سماع المزيد من التفاهات وأقسم انه سينتقم لها. غادر متجها نحو بيت قلب العقرب فتبعه مجموعة من الرجال ليهدئوه.

اقتحم سليم حجرة قلب العقرب الذي كان جالسا يحضر الكسكس الملعون لإحدى زبوناته باستخدام اليدين اللتان اعتاد استعمالهما وكانت رملة جالسة بجواره، اتجه سليم نحوه وبدأ بضربه حتى أوقعه أرضا، ركضت رملة باتجاه الباب محاولة الهرب فانقض عليها سليم وسحبها من ضفيرتها وألقى بها أمام زوجها.

في تلك الأثناء وصل الرجال الذين تبعوا سليم رأى أحدهم اليدين الموضوعتين في إناء الكسكس فاتجه نحوهما، نظر إليهما بتمعن وبدأ يصرخ

- نااااادر نااااادر، أنت من قتل أخي نادر، إنهما يداه يمكن أن أميزهما من بين مئات الأيدي حتى لو مرت مئات السنين، لا يمكن أن أنسى تلك الوحمة على ذراعه.

نظر جميع الرجال إلى الرجل الذي كان يصرخ، ذهلوا مما سمعوا، اذن هذا هو المشعوذ الذي خطف أطفالهم وخرب بيوتهم، هو الذي فرق بينهم وبين أزواجهم إنه اللعنة التي تطاردهم وستظل تطاردهم مادام على قيد الحياة.

نظر سليم إلى أخ نادر نظرة تأثر ما كان ذلك ليحدث لأخيه لو أنه تحدث، كان يكمن أن يضعوا حدا لقلب العقرب آنذاك لو أنه ابلغ عنه، كان ليَسْلم من شره العديد من الناس رفع رأسه وقال

-يجب أن يموت هاذان اللعينان، يجب أن يموتا.

اتجه سليم وأخ نادر نحوهما قاما بربطهما جيدا ثم أفرغوا عليهما الوقود، وانتزع كل واحد منهم شمعة من بين الشموع المعلقة على الجدران وألقيا بهما على الدجالين.

وقف الجميع يتأمل مشهد اشتعال النار في جسديهما وصوت صراخهما الذي ملأ المكان، نظر إليهما سليم نظرة المحارب الذي انتصر في المعركة وقال

- هنيئا لكنا بنار الدنيا، اتمنى أن تخضو بوقت ممتع في جهنم.

***

في تلك الأثناء وصل عبيدة إلى البيت وشهد لحظة موت سيده وزوجته لكنه ظل واقفا في الخلف دون اصدار أي صوت ورحل قبل أن يلاحظه أحد، خرج من البيت وصرخ " أقسم أنني سأنتقم لك يا معلمي".

❁❁❁تمت بحمد الله❁❁❁